حياة الزيتونيين

كتبت مقالة في المجلد الثاني عشر من المنار (ص ٦٥) عن اضراب الأزهريين عن حضور دروسهم الا أن يجابوا الى مطالب لهم طلبوها وجاءت صنعهم ذلك وعدته نهضة لهم وكان الكتاب يسمون عملهم اعتصابا ولكن تلك النهضة أو ذلك الاعتصاب كانت نتيجته الفشل لأن مقدماته ألّفت من التنازع ولأن أولي الامر هنا رأيهم أمر الأزهريين واكبروا مطالبتهم لهم بأن يتوفروا على اصلاح معاهدهم فخذلوهم وذلك شأن أرباب السلطة يزدرون طلاّب تغيير الحال ويعدونهم من المجترمين المذنبين !

اعتصب الأزهريون في العام الماضي وليست حالهم دون حال اخوانهم الزيتونيين بل ربما كانوا أرقى منهم فكان من المنتظر أن ترن اصداء خطب الازهريين في جامع الزيتونة فتزلزل قواعد الجمود وتتداعى لها أركان الخمول وشاء الله أن يعدو طلاّب جامع الزيتونة حذو طلاّب الجامع الأزهر في طلب تغيير الحال الى ما هو أصلح للمآل وأنجح للأعمال وانما المدرستان أو الكليتان تسيران على نمط واحد هو ذلك الطراز القديم طراز الافتراضات وكثرة التحمل والتأويل فيها حتى صارت العلوم في هذين المعهدين مناقشات نظرية عقيمة تؤخّر عن طلاّب الدنيا ولا تلحق بأهل الدين

صاح صائح التونسيين واعتلى خطيبهم المنبر طالبا حياة جديدة تبعثه من قبر الخمول والجمود فأجفلت لصيحته قلوب واختبطت أفئدة وانما أجفل أولئك الذين يستطيبون انتياشه ولكنهم لا يرضون منه الاّ أن يبقى ساكنا لاهيا ويحسبونه عائقا مارقا اذا تطاول الى المجد وطمح الى العلاّ والسموّ

لقد تفتحت مغالق قلوبنا اذ حملت الينا ريح الغرب اريج اخواننا الزيتونيين الذين اعتصموا في مطالبهم بالأناة والصبر وجنحوا للسكينة والحلم واستمسكوا بالعروة

الوقى التي لا انفصام لها ولا خذلان لمن استمسك بها . تعلمناهم غادين رائحين ولهم من آداب الدين الحنيف وعظاته رواديع من الادب وزواجر من الحياء ومن سيرة اعلام قرطبة وأئمة بغداد وأدباء غرناطة درس حكيم يهديهم الى الطريقة المثلى فكنا نشعر بسرور لا يدانيه سرور ونقول في أنفسنا تالله لو أعطيت لهم العلوم الصحيحة النافعة لفاق الخلف السلف والله يؤتي فضله من يشاء فهو لا يختص بجيل ولا قبيل

طال الأمد على سكون المسلمين وركونهم الى مخلفات قرون الظلمات التي ضعف فيها شأن العلم وجمدوا على التقاليد الخلقة التي لا تنهض بها حجة ولا يقام عليها دليل ولم تكن حالهم اذ أخذوها قضية مسلمة الا كحال أولئك الذين نزل فيهم قوله تعالى « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » ولو رجعوا الى تاريخ أسلافهم في عصور السعادة لاحتذوا حذو أولئك ونبذوا طريقة هؤلاء ظهريا وبا بعد ما بينهما

لم يكن للمسلمين وقد احاطت بهم العظات وطافت بهم النذر أن يرتضوا لانفسهم بقاء التمسكع في دياجير الجهل والتمرطل في حياض الخمول وهم الذين أرشدهم دينهم الى الضرب في مناكب الارض والنظر في اسرار الكون والاعتبار بتاريخ الامم التي بادت واقترضت لكفرها بأنعم الله وجعل العزة وصفا لاهل دينه لانفكاك عنهم ما داموا مؤمنين

ليس بعجيب أن ينهض المسلمون في مشارق الارض ومغاربها ما دام القرآن الحكيم محفوظا في صدورهم متداولا بين أيديهم وهو الذي ينعي على التقليد واهله ويستفز الهمم ويحدو العزائم الى طلب الآخرة بالعمل الصالح وطلب الدنيا بالسير في مناكبها وعلومها انما هي وسيلة موصلة اليهما ليس بعجيب ان ينهضوا وانما العجيب أن يلبثوا في غباية عن أمره ونهيه معرضين عن نذره وعظاته ولذلك قلنا ولا نزال نقول ان اصلاح المسلمين لا يأتي الا من ناحية دينهم وعلمائه حملة القرآن فنحن اليوم نقرظ عمل الزيتونيين ونعده مبدأ حياة جديدة ستكون زاخرة بالعلوم النافعة حافلة بالاعمال الرافعة ان شاء الله تعالى ونثني على أولئك الزعماء الفضلاء الذين تعلموا الاعتصاب وساروا بهم على نهج التؤدة والرزانة ونحمد للحكومة جنوحها الى

واجابتها لمطالب التونسيين بعد تلك الدبدبة والتقشعم والانذار والوعيد واحراجها صدر العدل بسجن فئة من زعماء الطلاب وانا نقول الآن عفا الله عما سلف ونهنئ اخواننا الطلاب المجتهدين بفوزهم وفلجهم ونرجو أن تبقى نفوسهم دائما ظمأى الى مالم يأتوا من العلوم واعيذهم ان يخدعوا بأماديح المادحين ويركنوا الى الغاشين المتفيهقين فليس ما أحرزوه هو كل الاصلاح وانما هو مثل من بحر وعلى الله قصد السبيل

ولعلنا نوفق لكتابة مقال مطول في هذا الموضوع

حسين وصفي رضا

الشيخ جمال الدين الافغاني
(والشيخ محمد عبده) (*)

كنت كتبت رسالة بينت فيها فساد زعم الذين يتهمون الشيخ جمال الدين الافغاني بالمروق وأوضحت بطلان هذا البهتان بأجلى بيان وطبعت تلك الرسالة ونشرتها فتداولتها الايدي واشتهرت بين الناس وبعد ذلك سمعنا ببهتان جديد وهو أن الاستاذ لم يكن ماركا ولكنه كان وهابيا

عجبا هل يعرف هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون معنى رميهم الناس بالمروق تارة وبالوهابية تارة أخرى ؟ أم هل ترى أولئك الخراصون الافاكون ناشرو الافك والبهتان أنهم بعملهم هذا يدخلون تحت طائلة قوله تعالى « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب في الدنيا والآخرة » الخ ؟

وأما الوهابية فهي بالحقيقة اسم للذين اعتنقوا هذا المذهب وهم معظم سكان بلاد العرب ومذهبهم ليس بينه و بين مذهب الحنبلية فرق كبير

عجبا أصار من الدين عندنا أن نثق بكل كلام يراد به ايذاء أي شخص

(*) كتب محمد عاكف افندي الكاتب المعروف هذه المقالة ونشرها بجريدة شورى التي تصدر في اودينبورغ في الروسية تحت هذا العنوان فنقلناها عنها

والطعن عليه ؟ وكيف يجوز أن نعمد الى رجل صحيح العقيدة صالح الاعمال ونقول إنه رجل صالح لكنه مارق من الدين ، ثم يتلقى الناس هذا القول وينشر من دون تروٍ ولا نظر في أعمال وأحوال من نسب ذلك اليه فلا يمضي قليل زمن حتى يشيع بين الناس بأن فلانا مارق وان فلانا زنديق

ثم كيف يجوز لنا الحكم بمجرد نقل قوم لا يعرفون من أحوال من يحكمون عليه بهذه الافتراآت ولا من كلامه شيئا يصحح حكمهم ؟

اننا نعلم أن اكبر جرم في الاسلام هو أن يحكم الانسان على عقيدة انسان آخر ويتحكم فيها وينسبه الى الزندقة تارة والى الوهابية تارة أخرى بمجرد اختلاف في المشرب أو لأقل سبب مع أن الواجب الاسلامي يأمرنا باحترام عقيده مطلق إنسان ما دام يوجد دليل واحد على اسلاميته ضد تسعة وتسعين دليلا على الكفر وانه لا يجوز الحكم بالكفر مع وجود ذلك الدليل

ان اتهام كبار المصلحين بالوهابية في بلاد العرب و بالفرماسونية في بلاد الترك و بالبابية في بلاد العجم و بالدهرية والمروق في بلاد الروس صار امرا معروفا ومشهورا جدا . وان تعجب فعجب نعت غيرة رجال الاسلام بتلك النعوت مثل جمال الدين الافغاني مع انهم هم وحدهم المعروفون بالمدافعة عن الدين الاسلامي وهم انفسهم المجتهدون في ترقية بنيه بتربيتهم تربية صحيحة وهم الذين افنوا عمرهم الثمين بانشاء المدارس ليجعلوا لابناء أمتهم حظا من العلوم التي تنهض بهم من حضيض الذل الى اوج العز وتؤهلهم للجهاد في معترك هذه الحياة ليخرجوا من اسر المظلومية

اذا اعترض علينا معترض من أهل الملل الاخرى قائلا : انكم تتهمون أفضل رجالكم واعلمهم واعقلهم واعلاهم قدرا واشدهم غيرة على ملتكم بالمروق والدهرية والفرماسونية والوهابية مع انهم لا يريدون لكم الا الخير والرقي والسعادة فلماذا ؟ ألأن دينكم لا يجتمع مع العقل والعلم والفضل والادب والحمية وحسن الخلق ؟ فماذا يكون جوابنا ترى ؟

اذا بحثنا في تاريخ الرجال القيورين في القطر المصري الذين يدأبون على منفعة

الاسلام ويخدمون المسلمين خدمة صادقة نجد انهم تلامذة جمال الدين الافغاني وانهم انما نبغوا بفضل تربيته القوية

لو كان الرجل مارقا من الدين كما يقولون لما قدر ان يوجد رجالا ممتلئين غيرة على الدين وأهله يخدمونه أجل الخدم (لان فاقد الشيء لا يعطيه) ولاهم لهم سوى ترقي الانسانية بكل همة ونشاط

ان جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى ضاقت عليه الارض بما رحبت سواء كان في الافغان أو العجم أو تركيا أو أوربا ولم يسمح له ان يقيم في احدى هذه البلاد ناعم البال منشرح الصدر . ولو كان من محبي المال والجاه والمناصب العالية لترك ما اضطهد لاجله وهو خدمة الاسلام الجليلة وإلقاء الدروس النافعة للعالم الاسلامي ولما حاول ايقاظ المسلمين من نومهم العميق المؤدي الى النوم الابدي ان لم يسعف بالمنبهات من مثل ارشاد جمال الدين

نعم لو ان جمال الدين ترك خدمة الاسلام واشتغل ببث افكاره في العالم ولم يعمد الى ايقاظهم لانهالت عليه سحب الدنانير ولكان موضع الاحترام وصاحب المقام الذي لا يرام في جميع البلاد

ولكن تلك الروح العالية والارادة القوية والنفس السامية لم تنزل به في هذا الحضيض حضيض المجد الزائل فما زال مشمرا عن ساعد الجد مجتهدا بترويج مقاصده الخيرية يصارع الايام ويكافح النوائب غير هياب ولا وجل وثبت في موقف يتحذر على غيره الوقوف فيه حتى صح ان يقال عنه انه كان شهيدا في حياته وصدقت عليه عبارة كمال بك التركي « احسن شيء وافضله في هذه الدنيا ان يكون الانسان شهيدا في حياته »

هذا وان الذين يفترون على جمال الدين الافغاني بالمروق والوهابية تراهم لا يألون جهدا برمي الشيخ محمد عبده بما كنت عارموه به (كان الكفر والمروق على نسبة النفع للامة) فهب ان هؤلاء الافاكين مصنع كفر لا يفتأ يصوغ من حلل الكفر اجودها لهؤلاء الرجال العظام فانا ارجو منهم بعد النظر في مؤلفات الشيخ محمد عبده ان يثبتوا لي علامات الوهابية التي ينكرونها عليه ولو بأي صفة كانت ويظهروها للملا

ان بعض الناس يقول « انه لا موازنة بين زهد الشيخ محمد عبده و بين علمه » (١) وربما كان كذلك وهل اذا امضى الشيخ محمد عبده عمره معتكفا بالمساجد مواظبا على صلاة النافلة أكان يفيد الاسلام اكثر مما افاده ؟ اننا لا نظن ذلك بل ان رده على عالم افرنجي مثل هانوتو ومدافعته عن حقوق الملايين من المسلمين هي في نظرنا أحسن عملا وا كثر ثوابا من الاعتكاف وصلاة النافلة

انظروا الى قول عمر رضي الله عنه لأبي قلابة التابعي « ان اكتسابك الرزق لعيالك أحسن عندنا من اقامتك في المسجد » وهل يعجز أبو قلابة عن تربية عياله وأولاده في زمن يعيش فيه الناس بقليل من النفقة عيشة الرفاهية من غير تجشم مشاق الكسب ؟ ومع ذلك فقد أمره عمر رضي الله عنه بالكسب ونهاه عن الاقامة في المسجد

اما محمد عبده فانه لم يكن مثل ابي قلابة ولا هو في زمن مثل زمنه بل هو في زمن يحتاج فيه ان يشمر عن ساعد الجد لاجل تربية عائلة تبلغ الملايين من الاشخاص

هانحن اليوم معشر المسلمين ليس لنا مثل جمال الدين ومحمد عبده وقد مضيا الى خالقهما وتركانا كالماشية بلا راع بل اننا اصبحنا واقفين موقف الحيرة لا ندري ماذا نعمل ولا نهتدي طريق النجاة

فالواجب علينا ان نذكر مثل هذين الاستاذين بالخير لانهما خدما الدين وكانا من حماته وأن نسأل لهما من الله الرحمة والغفران لكي ينالا جزاء عملهما الصالح

نعم ويجب أن نعترف بفضلهما وارشادهما للاجيال المقبلة وتعيينا حيث اننا لا نعرف لاهل الفضل فضلهم ولأجل أن يعلم القوم الآخرون اننا أناس نعرف فضل المصلحين واننا لسنا من يكفرون النعم ، ويحسن ان أورد هنا حكاية صغيرة وأجعلها ختاما لهذا الموضوع وهو أنه قابلني قبل خمس سنوات رجل افرنجي وقال لي « انكم قوم محرومون من معرفة الصناعة وانتم معذورون في هذا أما في عدم تفكركم في معرفة قدر الرجال فلستم بمعذورين بل ان هذا ذنب لكم لا يغتفر وهو من أشنع الذنوب » فاعتبروا يا أولي الابصار .

---

(١) عبارة الاصل منقوشة

الخلافة الاسلامية
(والجامعة العثمانية)(*)

١

« افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون »
« قرآن كريم »

ان الدين أعظم مهذب للنفوس وآثاره تظهر في الناس بقدر استعدادهم للخير أو الشر وبهذا كان التباين الذي لولاه لما ثبت دين اذ لو توحدت الفكرة الدينية لزالت الصعوبات لان كل فريق مضطر ان يناضل الآخرين ليثبت لهم انه على حق . وما هي البراهين التي تحملنا على تصديق فريق وتكذيب آخر ؟ لماذا نعتبر والد ابراهيم مخطئا في عبادة الاصنام ولماذا نحمد فعل ابراهيم عليه السلام لتحطيمه تلك الاصنام وعبادته الحي القيوم الذي لا يغفل ولا ينام ؟ «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » الآية

يتأمل الانسان فيما حوله من الكائنات فيجدها سائرة بنظام واحد ميسرة لما خلقت له « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » . وما الطبيعة الا ذلك الناموس الذي يخضع له كل شيء في الوجود وانني بقدر ما وصل اليه بحثي اعتقد اعتقادا راسخا أن الاسلام هو الدين الطبيعي أو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ذلك هو الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون وان جميع مبادئه موافقة

(*) لعلي افندي فهمي الكاتب المعروف

للنواميس الطبيعية وانى أؤمل ان كل محب للحقيقة يسلم معي بهذا الاعتبار ويعترف بما للاسلام من المزايا الناصعة والمبادئ الشريفة

طرق كثير من كتاب الغرب باب الكلام في الاسلام ، ونبيه عليه الصلاة والسلام ، ومن سوء حظي اني لم أتمكن من الوقوف على آراء السابقين وان فزت ببعض آراء اللاحقين مثل دانيل ولوثر وملانشون وهربولت . ولكني أرى هؤلاء الناس يتطاولون على مالبس لهم به خبر شأن كثير من بني الانسان في كل زمان ومكان . ليست دهشتي من الذين يذمون الاسلام مثل هانوتو ولورد كرومر باكثر من دهشتي للوثين لوثر وهو ذلك الحر الابي المفكر الذي كون المذهب البروتستاني بالرغم عن سلاسل واغلال الفاتيكان في العصور الوسطى . ولكن الاغراض السياسية تسربت الى نفوس هؤلاء الكتاب فاعمت بصيرتهم فلم يخطوا الا ماتوحيه اليهم اغراضهم . الا ان الحق لايعدم انصارا وانا نذكرون هنا في مقدمة هذه الرسالة بعض آراء المنصفين من كتاب الغرب في الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم ليرى كل منصف ان الاسلام لايعدم من الاعداء ظهيرا وكفى بالله وليا ونصيرا .

كتب مستر جون ديفنبورت الرحالة الشهير في كتابه (تاريخ محمد) : « هل في الامكان انكار فضل رجل (يعني النبي صلعم) قام باصلاحات عظيمة خالدة لبلاده بان جعل جميع أهلها يعبدون الله الواحد القهار ويهجرون عبادة الاصنام ذلك الذي منع قتل الموؤدة وحرم شرب الخمر ولعب الميسر؟ » وكتب ادوارد جيبون : « ان دين محمد خال من الشكوك والظنون والقرآن أكبر دليل على وحدانية الله بعد ان نهى النبي عن عبادة الاصنام والكواكب

وهذا الدين أكبر وأجل من ان تدرك اسراره العويصة عقولنا الحالية »

وكتب مستر دينو نويت في كتابه (اعتذار الى محمد والاسلام): « انه لمن الحماقة ان نظن ان الاسلام قام بحد السيف وحده لان هذا الدين الذي يهدي اليه هي أقوم يحرم سفك الدماء ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ويجب ان نعترف هنا بان علوم الطبيعة والفلك والفلسفة والرياضيات التي أنشئت أوربا منذ القرن العاشر مقتبسة ومقتطفة من القرآن (؟) بل ان أوربا مدينة للاسلام بأكثر من ذلك لانه الدين الذي أمر بالدستور والديموقراطية ونهى عن الاستبداد في قوله (تعالى) «وأمرهم شورى بينهم» «وشاورهم في الامر» . منح الاسلام الانسان جميع حقوقه المدنية ولتذكر أوربا انها مدينة للمسلمين انفسهم بحفظ آداب الغرب القديمة حينما كانت هي في ظلام دامس فحفظوا آثار فلاسفة اليونان وانشأوا علوم الطب والهندسة وغيرها . وبعبارة أخرى ان المسلمين هم اساتذة أوربا أثناء همجيتها من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر »

وكتب كاتب مقالة تحت عنوان (الشرق والغرب) جاء فيها: « لقد ساوى الاسلام بين جميع الناس في الحقوق السياسية ورفع عن كواهلهم الضرائب الفادحة في قديم الزمان وحفظ لهم جميع حقوقهم ونذم استعباد الانسان للانسان » ومع ذلك فان ساسة أوربا وخصوصا الانجليز منهم لا يدخرون وسعا في التطاول على الاسلام ورميه بكل نقيصة وانه داعية التأخر بمناسبة وبغير مناسبة ، من ذلك انه عندما حصل اعتصاب طلبة الازهر قالت التيمس والجرائد التي على شاكلتها ان الازهريين ميالون للتأخر وهذه الافتراآت تنافي ميل علماء الاسلام وتعاليمه على خط مستقيم . قال أحد فضلاء الانجليز

في احدى الجرائد بهذه المناسبة: «اننا نعتقد انه اذا كان ثمة دين خال من مبادئ التقهقر فما هو الا الدين الاسلامي الحنيف» وهل يقدر انسان على نسيان ما قام به علماء الازهر وشيخ الاسلام نفسه في اثناء تلك الحركة الدستورية التي قامت سنة ١٨٨٢ ؟ من غير العلماء اصدروا اعداد توفيق باشا؟ ألم يكن شيخ الاسلام في الآستانة هو الذي قال للسلطان: ان الشورى ليست من روح الاسلام فقط بل انه يأمر بها أمرا؟ ومن قام في مجلس المبعوثان وخطب الخطب العصماء بوجوب مساواة جميع العناصر العثمانية بصرف النظر من الملل والنحل في مصالح الوطن غير العلماء؟

ولقد قام العلماء بمثل هذا العمل في روسيا فانه لما كان الارمن والكاثوليك بعضهم ببعض سنة ١٩٠٥ على مرأى من البوليس الروسي في باكو كان رجال الدين المسلمون أول من نهض لحسم النزاع بين الطوائف والعشائر. وهاهم رجال الدين الاسلامي يبذلون جهدهم في سائر البلاد ويحثون الناس على تشييد المدارس لنشر العلوم الحديثة لترقية ابنائهم والقاء المحاضرات التي تعصمهم عن ارتكاب الآثام

ولكن الحكومة لسوء الحظ تحاول ايقافهم عن مساعيهم الحميدة خوفا من أن يستميل الاهالي فيسهل الاستقلال ويتوسلوا بطلب حقوقهم منها. ومن عجيب ما يلاحظ ان سيحيي تلك الجهة ومعظمهم من الفلاحين قد تأثروا بارشاد رجال الدين الاسلامي وسيهم وراء العلوم والمعارف فدخل الكثيرون منهم في دين الله أفواجا واضطرت الحكومة ان ترسل الى تلك النواحي مرسلين خصوصيين لمقاومة تلك الحركة الضارة في نظرها.

هذا هو الاسلام وهؤلاء هم رجاله ومع ذلك فان سواس الانجليز

لا يخجلون من أن يصموه ويصموا رجاله بالتأخر والتقهقر .

ولا شك في أن آراء أولئك المنصفين من رجال الغرب اكبر حجة عليهم اذ أقروا بأن هذا الدين القويم لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فتم بذلك قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ولا عجب أن يقر أولئك الناس بفضل النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أقروا بعجزهم عن معارضة فتوى آيات الذكر الحكيم القائل « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » « وانك لعلى خلق عظيم » « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » وهذه الآيات مصداق الحديث الشريف « أدبني ربي فأحسن تأديبي » أو كما قال

يدعون ان الاسلام خال من الوطنية فهل يقتنع أولئك المفترون بما جاء في الذكر الحكيم : « رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام » ألا يخجلون من حكاية أبي وشال الذي دل صاحب الفيل على طريق وطنه وخان بلاده فأمر النبي صلى الله عليه وسلم برجم قبره كما فعل هو ذلك بيده الشريفة ؟ ألم يأتهم نبأ الحديث المتداول « حب الوطن من الايمان »

يدعون ان الاسلام دين تواكل وتقاعد لا عمل ولا نشاط فيه . وهذا قول مردود ودعوى كاذبة بنص الذكر الحكيم « وان ليس للانسان الا ما سعى » والحديث المتداول على الالسنة ايضا « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » والحديث الشريف « ليس بخيركم من أخذ من هذه وترك هذه انما خيركم من أخذ من هذه وهذه »

يدعون ان الاسلام لا يلائم بعض العلوم الحديثة مع انها في الحقيقة ونفس الامر فريضة يدحضها ما حواه القرآن الشريف أصل هذا الدين الحنيف من الحث على العلم والسعي واكتشاف اسرار الطبيعة قال تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » « قل انظروا في السموات والارض » « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء » « وفي أنفسكم أفلا تبصرون »

يزعمون ان الاسلام استعبد المرأة ويستدلون على ذلك بالحجاب أو النقاب ولا يفقهون ان ذلك يعزى الى العوائد التقليدية اكثر مما يعزى الى الاصول الدينية . ولقد ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة فلم يجعلها بمنزلة كما يزعمون نظرا لاباحة الطلاق وتعدد الزوجات ولا يعرفون ان هذه التصرفات تكون لاسباب غير عادية وانه اذا افرط فيها المسلمون فذلك راجع لاخلاقهم الشخصية وليس افراطهم هذا من الدين في شيء . وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى « فاذا خفتم الا تعدلوا فواحدة » الى قوله تعالى « ذلك أدنى الا تعولوا » ثم جاء بعد ذلك « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . وفي حديث شريف « ابغض الحلال الى الله الطلاق » . وفي قوله تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان ذلك لآيات لقوم يتفكرون » فمن ذلك يرى المنصف ان تعدد الزوجات والطلاق أمران يكادان يكونان محرمين في الاسلام .

لقد أباح الاسلام للمرأة حتى القضاء فاذا منعها غيره من الاديان من هذه الجهة؟

ينكر هؤلاء القوم على المرأة مطالبتها بحقوقها بصفتها حقوقا لاهبة كما هو الحاصل الآن في أمريكا وأوربا ثم يتفكهون باستعباد المرأة في الاسلام وهي تطالبهم ببعض ما منحه الاسلام لها فيسخرون منها ! جاء في الذكر الحكيم : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » وهي ميزة لا تكاد تذكر والسبب فيها أن الرجل بناه على النظامات الكونية هو الذي يسعى ويكد وهي اكثر منه راحة في غدوها بوجه العموم وهي معرضة للتأثيرات القلبية والنفسانية التي قد تتغلب على العقل فكان الرجل في هذا المعنى كشكيمة لتطرف النفس والعقل .

يدعون ان الاسلام دين حرب وعداء لا سلام وصفاء ويقيمون على ذلك دليلا معكوسا من الفتوحات التي تمت في صدر الاسلام ولو أبصر هؤلاء المدعون لعلموا ان تلك الفتوحات لو تمت على أيدي غير المسلمين لاذيقت تلك الامم التي غلبت على أمرها أنواع الذل والمسكنة بناء على قواعد الاستعمار الاوربية التي لا يسع المقام شرحها . جاء في القرآن : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » هذا ما كان يعمل به الفاتحون من أمراء الاسلام أفلا تخجل أوربا اذا قارنت به عملها اليوم في الشعوب التي أخذ عليها الدهر فوقعت تحت سلطانها ؟ جاء في القرآن الكريم « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » . « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام

لها » ولم يكن القتال في الاسلام الا لتأييد الدعوة وللدفاع عنها قال تعالى « وقاتلوا في سبيل الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » هذه بعض آيات من الذكر الحكيم فأين أمرها مما قاله المستر موط المرسل الامريكي في خطاب القاه على جمهور من المرسلين في الشرق الادنى : « بواسطة ستة رجل نظيركم يحتملون العصاب وعشرين الف جنيه يقدر الله ان يلاشي الاسلام ويتناش بلاد العرب من قبضة الشيطان !!! » ؟

ان نصارى الشرق لم يأمنوا الاكراه على ترك دينهم بفضل شجاعة افرادهم ولا بعجائب كنيستهم ولكن الذي وقاهم ذلك انما هو ماأوردناه من الآيات القرآنية فانها ضمنت لهم سلامة استقلالهم الديني وصانت عقيدتهم من كل اعتداء ولو كان المسلمون الآن كما كانوا في صدر الاسلام لما أمكن أولئك المرسلين ان يأتوا بعشار مايفعلونه في الشرق الآن بل لانتشر الاسلام في سائر أنحاء العالم لانه دين مساوق للطبيعة ملائم للتنوع الانساني في جميع اطواره يقبله كل عقل فطري لم تدنسه التقاليد . بل لو كان المسلمون الآن كما كانوا عليه في صدر الاسلام لما قدرت أوربا بأن تستعمر شبرا واحدا من بلادهم أو بلاد الشرق أو تستعبد قبيلة واحدة فيها. قال الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده « ان الازهر كالاسد محبوس في قفص والحكومة المصرية كالحارس على بابه فاذا فتح ذلك الباب كان أول فريسة لذلك الاسد ذلك الحارس »[1] ونحن نزيد على ذلك انه لو فتح ذلك الباب وقسم ذلك الاسد نسيم الحرية لاعاد الشرق الى الشرق والغرب الى الغرب

(لها بقية)

---

(١) المنار : تقدم هذه العبارة الى اثبات ورودها عن الاستاذ الامام